جامعة بنها كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

السلطان عبدالحميد الثانى بين الميلاد والحكم .

إعداد /

فاطمة الزهراء يوسف أبوالعلا على

المجلد ٦١ ابريل ٢٠٢٤

https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص:

السلطان عبدالحميد الثانى ولد ١٨٤٢ وتولى الحكم (١٨٧٦ – ١٩٠٩) ،وقد صيغ فى عهده الدستور (المشروطية) والذى حسن من أحوال الأقليات العثمانية كثيرا ، كما وضع حلا لمسألة الديون التى أرهقت الإقتصاد العثمانى ، وازدهرت فى عهده الزراعة والصناعة والتجارة ، كما ازدهر التعليم متماشيا مع النسق الأوربى ، وكانت نهايته على يد جماعة الاتحاد والترقى ، التى قامت بثورة ضده انتهت بعزله ١٩٠٩ ، وتعيين أخيه محمد رشاد ، حيث تلقب بمحمد الخامس ، وقد توفى السلطان عبدالحميد فى ١٠ فبراير ١٩١٨ ، وهو فى السادسة والسبعين من عمره ، ودفن فى مقبرة جده محمود الثانى بناء على وصيته ، وكانت وفاته طبيعية بسبب ضعف فى عضلة القلب ، ويعد السلطان من أكثر السلاطين العثمانين ثقافة ، كما كانت له الكثير من الهوايات ، لعل أبرزها النجارة والكثير من الخزائن والتحف الخشبية فى قصر يلدز صنعها بنفسه .

الكلمات المفتاحية:

١– المشروطية ؛

٢– الزراعة ؛

٣– الصناعة ؛

٤– التجارة ؛

٥– التعليم ؛

المقدمة

يعد السلطان عبدالحميد الثانى واحدا من أكثر الشخصيات التى تحدث عنها التاريخ ، وشأنه فى ذلك شأن الجميع فى بيان ماله وما عليه ، وهو السلطان الرابع والثلاثون من سلالة بنى عثمان ، شخصية متميزة استطاعت الوصول إلى مركز الزعامة فى العالم الإسلامى ، ومن أكثر من ثار حولهم الجدل حتى بعد وفاته ، ويتحدث البحث عن مولد السلطان ونشأته ثم يتطرق إلى توليه عرش الدولة العثمانية وسياسته الداخلية ، ثم يختتم بالحديث عن عزله ونفيه خارج أستانبول ، وتكمن أهميته فى أنه يلقى الضوء على بعض الجوانب الهامة فى حياة السلطان ، وعلاقاته بالدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا ، أما مبررات اختيار الموضوع فتتركز فى أن فترة السلطان عبدالحميد الثانى من أغنى فترات الدولة العثمانية بالأحداث ، والسلطان نفسه كان محورا لتغير الكثير من سياسات الدولة مثل : النهوض بالتعليم وحل مسألة الديون ، وكان لهذه الدراسة العديد من الأهداف : يأتى على رأسها معرفة الجانب الشخصى الخفى من حياة السلطان ، وكيف عمل على حل مسألة الدين العثمانى والنهوض بالاقتصاد ؟ معرفة دوره فى إصلاح التعليم ، كيف عزلت جماعة تركيا الفتاة السلطان ومن ساعدها فى ذلك ؟

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخى الوصفى ، القائم على عرض وتحليل الأحداث التاريخية ومحاولة معرفة الدافع من ورائها ، وأهم النتائج المترتبة عليها .

وقد اعتمدت هذه الدراسة فى جمع معلوماتها على العديد من المذكرات التى كتبت فى عصر السلطان عبدالحميد أو بعده بقليل وكانت شاهد عيان على عهده : كمذكرات

تحسين باشا رئيس دائرة كتاب قصريلدز ، كما اعتمدت على العديد من المراجع المعربة والمراجع الأجنبية والعربية ، التى أغنت الدراسة بالعديد من المعلومات .

الدراسات السابقة :

١- على محمد الصلابى ، السلطان عبدالحميد الثانى وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية.

٢- سيف الله آرباجى ، السلطان عبدالحميد الثانى مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية .

٣- دومان، مراد ، ترجمة : أحمد عمر أحمد ، ذكريات السلطان عبد الحميد الثانى .

٤- عثمان أوغلى ،عائشة ، ترجمة صالح سعداوى صالح ، والدى السلطان عبدالحميد الثانى .

٥- نورى طوباش ،عثمان ، ترجمة : محمد حرب ، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة .

١- والنشأة والتكوين والتولية :

ولد السلطان عبد الحميد خان فى (١٦ شعبان ١٢٥٨ هـ / ٢١ سبتمبر ١٨٤٢ م) فى قصر جيراجان ، والده السلطان عبد المجيد الأول وأمه تيرمزكان قادين " موجكان " [١] جركسية الأصل مثل باقى زوجات السلطان عبد المجيد ، توفيت وهو فى

(١) موجكان ، الزوجة الثالثة للسلطان من قبيلة شابصخ الجركسية ، ولدت عام ١٨١٩ وماتت ١٨٥٢ بمرض السل عن عامر ناهز ٣٣ عاما ودفنت فى مقبرة مراد الخامس ، أوزتونا، يلماز ،

العاشرة من عمره ، فربته زوجة أبيه " برستو "[١] ، التى لم ترزق بأطفال ؛ لذلك أحسنت تربيته واعتبرته ابنها وأوصت له بميراثها بعد موتها ، وقد تعلم فى القصر على يد نخبة من أساتذة عصره ، فتعلم اللغة التركية على "كردانقيران عمر " والفارسية على" محوى أفندى " [٢] ، كما درس الأدب والتاريخ وتعمق فى التصوف على" محمد ظافر أفندى شيخ الشاذلية" [٣] – إحدى طرق الصوفية – كذلك تعلم الشعر وبرع فيه ، وكان ينظم الأشعار باللغة التركية ، وبرع فى المبارزة بالسيف والرماية خاصة بالمسدس ، ومن مهارته أنه كان يكتب اسمه بالطلقات ، وقد عنى باقتناء الأسلحة وأسس متحفا لها بقصر يلدز – مقر الحكم فى عهده – [٤]، كان للسلطان هوايات متعددة فكان رساما بارعا وخاصة للمناظر الطبيعية ، وأحب تربية الحيوانات وخاصة الخيل واهتم بمزرعته فى ماصلاك ، كذلك كان يحب القراءة وخاصة التاريخ والروايات ويأمر بترجمة الصحف والروايات الغربية ، بالإضافة إلى ذلك عنى بزراعة النباتات النادرة ، وكانت حديقة قصر يلدز تضم أنواعا مختلفة منها[٥] ، كذلك شغلت الموسيقى حيزا كبيرا من اهتمامه ، فقد برع فى العزف على

ترجمة عدنان محمود سلمان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج ٢ ، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول ، ١٩٩٠ ، ط ١ ، ص ٩٥ .

(٢) برستو هانم ، الزوجة الثانية للسلطان عبدالمجيد الأول ، توفيت فى سن الثماتين ، وقد اسمها السلطان عبدالحميد السلطانة الوالدة وشملها برعايته طوال حياتها ، أورخان محمد على ، السلطان عبدالحميد الثانى حياته وأحداث عهده ، دار النيل للطباعة والنشر ، استانبول ، ٢٠٠٨ ، ط٤ ، ص ٦١ .

(٣) سيف الله آرباجى ، السلطان عبدالحميد الثانى مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية ، دار النيل للطباعة والنشر ، استانبول ، ٢٠١١ ، ط ١ ، ص ص ١٧ ، ١٨ .

(١) نورى طوباش ،عثمان ، ترجمة : محمد حرب ، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة ، دار الأرقم ، استانبول ، ٢٠١٦ ، ص ٢٤٧ .

(٢) على محمد الصلابى ، السلطان عبدالحميد الثانى وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية ، المكتبة العصيرية ، صيدا – بيروت ، ٢٠١٠ ، ط ١ ، ص ١٢ .

(٣) أورخان محمد على ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

البيانو وتعلمه على يد أعظم موسيقى عصره الإيطاليين جواتلى GHOATLY ولومباردى LOMBARDY ، على أن أهم هواياته على الإطلاق النجارة متأثرا بأبيه فى ذلك ، حيث جلب له معلمين لتعليمه مثل الفنان النمساوى كارل CARL GANSIN جانسن ، وقد برع بالنجارة والتطعيم بالعاج والصدف ، وعرضت القطع التى صنعها فى المزادات العالمية ، وقد ذكر ألبير أورطايلى ELBIR ORTAILE – أحد العاملين فى ورشة النجارة الخاصة بالسلطان – أنه لو استمر بالعمل بها ، لأصبح أغنى من ذلك بكثير (١) ، كذلك اتصف السلطان بالتدين والشجاعة وكثرة الصمت ، وبالذكاء الحاد كان رزينا متسما بالعفة والوقار (٢)، متمتعا بقوة الذاكرة ويقول عنه تحسين باشا رئيس الكتاب بقصر يلدز أن ذاكرته كانت قوية جدا ، إذا تحدث فى موضوع لايكتفى بذكر العموميات فقط بل يتعداها إلى الخصوصيات ، بينما كان الأمراء الآخرون يتسمون بالغفلة (٣) ، وكذلك اتسم بالانطواء مما عرضه للنقد ، وقد أرجع ذلك إلى ظروف نشأته (٤) ، كما كان محسنا يحب فعل الخيرات ، ويقدم الدعم للجمعيات الخيرية من ماله الخاص ، ومتواضعا يميل إلى البساطة معتدلا لا يحب الإسراف (٥) ، أما عن قسماته فإنه متوسط الطول ، عريض الصدر

(٤) أرمجان، مصطفى ، ترجمة : مصطفى حمزة ، التاريخ السرى للامبراطورية العثمانية جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بنى عثمان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ط١ ، ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٥) إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ ، السلطان عبد الحميد المفترى عليه ، مجلة المؤرخ المصرى ، ع ٣٨ ، يناير ٢٠١١ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٦) تحسين باشا ، ترجمة : كمال أحمد خوجة ، السلطان عبد الحميد الثانى " خواطر تحسين باشا فى يلدز " ، دار الفسطاط للنشر ، ٢٠٠٥ ، ط ١ ، ص ١٠ .

(٧) السلطان عبد الحميد الثانى ، مذكراتى السياسية (١٨٩١ – ١٩٠٨) ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠٩ .

(٨) دومان، مراد ، ترجمة : أحمد عمر أحمد ، ذكريات السلطان عبد الحميد الثانى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ط ١ ، ص ص ٤٢ ، ٥٨ .

، مشدود القامة يتمتع جسده بالرشاقة والتناسق ، كان متوسط الشكل بين الوسامة والدمامة ، مقوس الأنف ذو عينين بنيتين اللون ، واتسمت حياته بالهدوء ، فقد كان نموذجا لرب الأسرة ، يحب أطفاله جيدا ويتواصل معهم ويعاملهم بأبوة شديدة ، ولعل مرجع ذلك أنه لم ينعم بهذا الحب فى طفولته ، وقد بذل جهدا كبيرا فى تربية وتعليم أولاده ، وقد أفرد لكل منهم معلم خاص ، وكان شديد الدقة فى ذلك ، وحينما يتوفر لديه وقتا كان يستدعى من يشاء من أولاده ويتحاور معه ، وكان لا يسمح لأحد من بناته أو زوجاته بالتدخل فى شئون الحكم (١) ، وعائلة السلطان مكونة من زوجاته الأربع وهن : نازيك أداء هانم الزوجة الأولى ، بدرى فلك هانم الزوجة الثانية ، نورأفسون هانم الثالثة ، بيدار هانم الرابعة ، أما بالنسبة لأولاده فكان عددهم سبعة عشر ولدا ، ثمانية من الذكور وتسعة من الإناث ، عاش منهم ثلاثة عشر وتوفى أربعة (٢) ، وبالنسبة لبرنامج السلطان اليومى فقد دأب على النوم مبكرا والاستيقاظ مبكرا ، وبعد استيقاظه من النوم يستحم ويصلى الصبح ثم يتناول فطورا بسيطا عبارة عن نصف كوب من اللبن مخلوطا بالماء ، ثم يتناول قهوته ويتوجه بعد ذلك إلى الحريم ومنها إلى السلاملك ؛ لمباشرة أعماله حتى الحادية عشرة صباحا ، وعند الغداء كان ينتقل إلى الحريم ثانية ليتناوله مع زوجته " أم الأميرة عائشة " أحب زوجاته إليه ، ثم يسترخى على الأريكة من ربع ساعة إلى عشرين دقيقة ، وبعد ذلك ينتقل إلى السلاملك لمباشرة أعماله مرة أخرى ، وعندما يشعر بالتعب كان يذهب إلى الحريم مرة أخرى يرى من يشاء من عائلته أو يدعو من يعزف له البيانو ، وكان فى معظم أوقات المساء يخرج إلى الحديقة ويتنزه مع كبار رجال الدولة ، ثم بعد ذلك

(١) سيف الله آرباجى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٩ .
(٢) فاروق يلماز، عمر ، ترجمة : طارق عبد الجليل السيد ، السلطان عبد الحميد خان الثانى بالوثائق ، دار نشر عثمانلى ، استانبول ، ص ١٥٤ .

يعمل فى ورشة نجارته أو يقرأ فى مكتبته ما تهواه نفسه ، وبعد صلاة العشاء يقصد غرفة النوم مباشرة ، وأحيانا كثيرة يستدعى من يقرأ عليه كتابا لينام [١] .

عقب اغتيال السلطان عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦) [٢] تولى الحكم الأمير مراد – ابن أخيه عبدالمجيد – ولى العهد وتلقب بمراد الخامس ، وأصبح عبد الحميد وليا للعهد ، غير أن السلطان لم يمكث سوى ثلاثة أشهر فى الحكم ؛ بسبب ظهور علامات الاضطراب العقلى عليه وساءت حالته وأصبح شفاه مستحيلا ، أو لربما أشيع ذلك لإبعاده عن الحكم خاصة بعد انتشار الشائعات حول تورطه فى اغتيال عمه ، يؤكد هذا الظن أن سبب تدهور حالته العلاج الخاطىء الذى وصفه طبيبه كابوليون CABOLYON ، وأنه كان الوحيد الذى يتردد عليه فى الفترة الأخيرة من حكمه [٣] ، ومن هنا اجتمع الوزراء فى ٣١ أغسطس ١٨٧٦، وقرروا وجوب مبايعة أخيه عبد الحميد بالحكم وعزله وأصدروا فتوى من شيخ الإسلام بذلك [٤]، تقلد عبد الحميد العرش فى ٦ سبتمبر ١٨٧٦ م ، وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره ، وتمت مبايعته بالحكم فى قصر طوب قاى ، وبعد عزل السلطان مراد حمل إلى قصر

(٣) عثمان أوغلى ،عائشة ، ترجمة صالح سعداوى صالح ، والدى السلطان عبدالحميد الثانى ، دار البشير ، عمان – الأردن ، ١٩٩١ ، ط ١ ، ص ٧٨ .

(٤) السلطان عبد العزيز ، السلطان الثانى والثلاثون من العثمانيين ابن السلطان محمود الثانى وأخو عبد المجيد الأول ، ولد فى استانبول ٨ فبراير ١٨٣٠ وتولى العرش بعد وفاة أخيه عبد المجيد ، وكانت وفاته على يد جماعة الاتحاد والترقى فى ٤ يونيو ١٨٧٦ – مما يوضح طمعها المبكر فى السلطة - حيث نشر الاتحاديين شائعات مضمونها أن السلطان انتحر بقطع عروق يديه بعد ستة أيام من خلعه ، كولن، صالح ، ترجمة : منى جمال الدين ، سلاطين الدولة العثمانية ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ٢٩٦ ، إبراهيم حليم ، التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ط١ ، ص ٢١٠ .

(٥) أورخان محمد على ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٦) عيسى أسعد العبد الله ، السياسة الخارجية للدولة العثمانية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ – ١٩٠٩) ، رسالة ماجستير ، جامعة بيروت العربية ، ٢٠١٦ ، ص ١٢.

جراجان [١])، و تولى السلطان عبد الحميد الحكم والدولة تعج بالمشاكل والأزمات بالإضافة إلى تحين الدول الأوربية الفرص للانقضاض عليها وتقسيمها ، ولبث فى الحكم ثلاثة وثلاثين عاما حتى عزله عام ١٩٠٩ .

٢- ممارسة السلطة والشئون الداخلية :

أ- المشروطية (الدستور)[٢] :

كان مسيحى البلقان يعانون أشد المعاناة بسبب عدم وجود دستور يكفل لهم المساواة مع إخوانهم المسلمين بوصفهم مواطنين عثمانيين مثلهم ؛ لذلك ألحت الدول الأوربية وخاصة بريطانيا على وجود الدستور لاسيما بعد اشتعال ثورات البلقان – البلغار والبوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود – بين عامى (**١٨٧٤ – ١٨٧٦**) ، وهنا كانت تكمن أهمية الدستوركونه مثل حاجزا منع الصدام مع الدول الأوربية ؛ لذلك عهد السلطان إلى مدحت باشا الصدر الأعظم(١٩ ديسمبر ١٨٧٦ – ٥ فبراير ١٨٧٧) [٣])بصياغة المشروطية (الدستور) ،فشكل لجنة من عشرة علماء واثنين

(٧) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٢٦ .

(١) كانت بداية حركة التنظيمات الدستورية فى الدولة العثمانية فى عهد السلطان عبدالمجيد الأول ، غير أنها لم تكن تغييرات جذرية تصلح من الأحوال الاجتماعية ، كما كانت شفهية لم تدون ، وفى عهد السلطان عبدالعزيز ، صدرت بعضها على شكل فرمان فى ١٤ ديسمبر ١٨٧٤ ، غير أن التغيير الأكبر حدث فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى ، HALLAK. H, THE OTTOMAN SULTAN ABDEL HAMID CONSTITUTIONAL EXPERIENCE UNDER Ⅱ (1876- 1909) , ISSUE 2 , VOL 2 ,FEBRUARY 2021, BAU JOURNAL – SOCIETY , CULTURE AND HUMAN BEHAVIOR, P.3.

(٢) مدحت باشا ، ولد فى استانبول ١٨٢٢ وعمل كاتبا فى صغره وترقى فى الوظائف حتى شغل منصب والى بغداد بين عامى (١٨٦٩ – ١٨٧٢) ثم الصدارة العظمى ١٨٧٢ فى عهد السلطان عبدالعزيز ، ثم تقلد المنصب ثانية فى عهد السلطان عبدالحميد ١٨٧٦ بعد استقالة محمد رشدى باشا ، ويعد من أبرز زعماء الاتحاد والترقى (تركيا الفتاة) ، لونكريك، س .ه ، ترجمة : جعفر الخياط ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، مطبعة النقيض الأهلية ، بغداد ، ١٩٤١ ، ص ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

من كبار قادة الجيش وستة عشر من كبار الموظفين ، وقد صيغت متضمنة (١١٩ مادة) ، ونصت على أن الإسلام هو دين الدولة والاعتراف بالحرية الشخصية ، والمساواة بين رعايا الدولة فجميعهم مواطنين عثمانيين ، واقتبس من الدستور البلجيكى ، كما نصت على أن تتألف السلطة التشريعية من المجلس العمومى ويتألف من مجلسين : (المبعوثان والأعيان)، كذلك قضت بتشكيل محكمة عليا و اللامركزية فى الحكم [١] ،أما فيما يتعلق بصلاحيات السلطان فقد اعتبرت المشروطية شخصه مقدسا ونفت المسؤلية عنه ، فكان من حقه التحكم فى المناصب العليا والرتب وسك العملة باسمه ، وعقد المعاهدات وإعلان الحروب [٢] .

وافتتح مجلس المبعوثان فى (١٩ مارس ١٨٧٧) وكان عدد أعضاءه ١١٥ عضوا : ٦٩ من المسلمين و ٤٦ من المسيحيين واليهود ، وكان يتم اختيار نائب عن كل (٥٠,٠٠٠ فرد)من الذكور العثمانيين ، كما اشترط القانون على النواب عدم العمل بأى وظيفة أخرى سوى منصب الوزارة ، كذلك استثنى القانون الذين لا يعرفون اللغة التركية والذين لم يبلغوا الثلاثين عاما وغير العثمانيين وسيىء السمعة بين الناس [٣] ، غير أنه بعد الحرب العثمانية الروسية (١٨٧٧ – ١٨٧٨) ، تذرع السلطان عبدالحميد بالصعوبات التى تواجهها الدولة داخليا وخارجيا ،والتى يستحيل معها إقامة حكم دستورى ، وحل البرلمان لثلاثين عاما لاحقة وعطل العمل بالدستور ، فأصبح مجرد حبر على ورق ينشر فقط بصورة دورية على صفحات الكتاب السنوى

(٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت – دمشق – عمان ، ١٩٩٤ ، ط ٣ ، ص ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٤) وجيه كوثرانى ، التنظيمات العثمانية والدستور : بواكير الفكر الدستورى نصا وتطبيقا ومفهوما ، مجلة تبين ، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات ، ع ٣ ، مارس ٢٠١٣ ، الدوحة ، ص ٤ .

(١) القانون الأساسى للدولة العثمانية ، مواد (٦٥ ، ٦٧ ،٦٨) ، مطبعة الآداب ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ١٣ .

للدولة لتذكير، وربما كان هدفه من ذلك إحكام السيطرة على الدولة، خاصة بعد المشكلات الداخلية والخارجية التى تواجهها [١] ، أما عن موقف بريطانيا من المشروطية فقد غضبت ؛ لأن إصدارها أضاع عليها فرصة التدخل لصالح مسيحى البلقان ، وفرض إرادتها على الدولة العثمانية ، وتحقيق أطماعها بالسيطرة على ولايات البلقان ؛ لأن نقطة الخلاف فى مؤتمر استانبول ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦ هى المطالبة بالحكم الذاتى لصالح هذه الولايات لتحسين أوضاعها ومساواتهم بالمسلمين ، وعندما تم إصدار المشروطية حلت نقطة الخلاف تلك مما أفشل خطط بريطانيا وجعلها تنتظر فرصة أخرى لتقسيم الدولة [٢] .

ب – المالية والاقتصاد :

حاول السلطان اتباع سياسة إصلاحية نشطة منذ توليه شئون الحكم ؛ جامعا بين الإصلاح السياسى والاقتصادى ؛ متماشيا مع الشريعة الإسلامية ، إلا أن إصلاح الاقتصاد كان على رأس هذه الإصلاحات جميعا ؛ بسبب تفاقم الأزمة وعجز الكثير من السلاطين عن حلها [٣] ، وقد واجهت الدولة العثمانية أزمة اقتصادية منذ أواخر القرن السادس عشر وتفاقمت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وبمجىء النصف الثانى منه وصل الأمر إلى مرحلة الغليان حتى كانت الدولة على شفا الإفلاس عام ١٨٧٠ ، كان الأمر مدفوعا بعدة أسباب منها : الاختراق الأوربى للاقتصاد العثمانى

(٢) مانتران ،روبير ، ترجمة : بشير السباعى ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج ٢ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ط ١ ، ص ١٦٤ .
(٣) حمزة ملغوث البديرى ، مؤتمر القسطنطينية ، ع ٥٨ ، مارس ٢٠١٧ ، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية ، ميسان – العراق ، ص ٥١٨ .
(٤) منصور عبد الحكيم ، السلطان عبد الحميد الثانى المفترى عليه آخر السلاطين المحترمين ١٨٤٢ – ١٩١٨ ، دار الكتاب العربى ، دمشق – القاهرة ، ٢٠١٠ ، ط ١ ، ص ١٩٧ .

وخضوعه لقوانين الرأسمال الأوربى وخاصة بعد تحول الدولة إلى مصدرا للمواد الخام وسوقا لتصريف المنتجات الأوربية ، بالإضافة إلى الحروب [١] التى خاضتها وخرجت منها خاسرة ونيران الثورات القومية فى البلقان (١٨٧٤– ١٨٧٦) والمطالبة بالحكم الذاتى ، فضلا عن القروض– من الدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وامبراطورية النمساوالمجر – التى عقدتها الدولة بشكل سافر مما أدى إلى زيادة التدهور وبلوغ الأمر حافة الانهيار [٢] ، وكان عام **١٨٧٥** قمة الانهيار حيث بلغ الدين العام ١٤ مليون جنيه استرلينى بما يعادل(١٦,٨٠٠,٠٠٠ ليرة عثمانية)[٣] ، يعود ١٢.٥ مليون منه إلى الدول الأوربية وفى مقدمتها بريطانيا ، التى رأت ضررا بالغا على مصالحها الاقتصادية فى ظل الوضع المتدهور ؛ لذلك احتجت الخارجية البريطانية على ذلك الوضع مبينة أنه لابد من التوصل إلى تسوية لهذه الديون [٤] ، وبالرغم من تزايد الإيرادات الدولة فى موازنة عام ١٨٧٤ ، حيث بلغت (٢٦,٤٠٠,٠٠٠ ليرة) بما يوازى ٢٢مليون جنيه استرلينى ، إلا أن الدين العام ابتلع ٥٥% من الإيرادات ، فضلا عن الزيادة فى المصروفات التى كلفت الدولة أعباء أخرى

(٥) خاضت الدولة العثمانية حروبا كثيرة خاصة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ومن هذه الحروب حروبها مع روسيا ومنها : حرب ١٧٦٨ -١٧٧٤ و ١٧٨٧- ١٧٩٢ و١٨٠٦-١٨١٢ و ١٨٢٨- ١٨٢٩ ، بالإضافة إلى حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦.

(٦) محمد إلهامى وآخرون ، السلطان عبد الحميد الثانى فى الذاكرة العربية ، ج ١ ، دار الأصول العلمية ، استانبول ، ٢٠١٩ ، ط ١ ، ص ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٧) يساوى الجنيه الاسترلينى ١,٢ من الليرة العثمانية

(١) زى هرشلاغ ، ترجمة : مصطفى الحسينى ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادى الحديث للشرق الأوسط ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ص ٨٤ ، ٨٥ .

، مما أدى عجزا كبيرا فى الموازنة العامة ودفع بها إلى الإفلاس [١] ، كان الحل الجذرى لهذه المشكلة يكمن فى مسألة الديون ، وخاصة مع ارتفاع أسعار الفائدة التى فرضتها الدول الدائنة على القروض والتى بلغت ٨٠% ، واقترحت عدة حلول من جانب محمود نديم باشا – الصدر الأعظم السابق – ومدحت باشا ، إلا أنها لم تنجح فى حل الأزمة ؛ لذلك طبق السلطان برنامجا إصلاحيا يعتمد على زيادة إرادات الدولة التى تذهب لسداد الديون ، فاعتمد على الإصلاح الضريبى من خلال توحيد الضرائب على جميع سكان الدولة بما فيهم الأجانب وأهل الذمة وليس المسلمين العثمانيين فقط ،غير أن الدول الأوربية رفضت بحجة وجود نظام الامتيازات ، وقد تحدث السلطان عن ذلك فى مذكراته ، أنه من الظلم أن تقبل الدول الأوربية أمرا لنفسها وترفضه إذا طبقناه ، إن وضعنا المالى بحاجة إلى نهضة سريعة ، ولهذا نسعى إلى رفع ضرائب الدخول من ٦% إلى ١١% إنه حق لنا ... من الذى يقوم بنشاطات بلادنا ، ومن يتحمل مصاريف هذه النشاطات سوى الرعية المسلمين ... أما النصارى فلا يؤدون الضرائب الكافية ويماطلون فى أدائها ... [٢] ، وذلك بفضل الامتيازات الأجنبية التى منحها السلاطين العثمانيين للدول الأجنبية ورعاياها ، عمل كذلك على ترشيد الإنفاق خاصة فيما يتعلق بمصاريف القصر السلطانى والنظار – الوزراء – فقلص رواتبهم وجعل مصاريف القصر من خزينته الخاصة بدلا من خزينة الدولة ، كذلك قلص عدد الموظفين بالقصر ووزارتى الخارجية والداخلية ، وجعل الميزانية العامة للدولة تعرض على لجنة الإصلاح

(٢) محمد إلهامى وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٣) السلطان عبدالحميد الثانى ، مصدر سابق ، ص ص ٨٧ ، ٨٨ .

المالى لمناقشتها قبل عرضها على مجلس الوزراء، وتخفيض مرتبات الموظفين ومعاشات الذين تقاعدوا منهم [١] ، ومن هنا نجحت الدولة فى تخفيض نفقاتها بمعدل ٣٥ % ، كما أنشأت إدارة الدين العام بمساعدة بريطانيا وغيرها من الدول الأوربية ، والتى هدفت إلى جدولة ديون الدولة وإعادة الثقة فى ماليتها، وتكونت من مندوب واحد عن كل من (بريطانيا وهولندا وفرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا وامبراطورية النمسا والمجر بالإضافة إلى الدولة العثمانية) ، كما سيطرت هذه اللجنة على الضرائب غير المباشرة كضرائب الملح والحرير، ونتيجة لهذه الجهود ارتفعت عائدات بنسبة ٧,٤ % فيما بين عامى (١٨٨٠ – ١٩٠٧) ، مع تقليل نسبة الدين العام من هذه العائدات وتحقيق فائض ، وهو ما لم تحققه الخزانة العامة منذ فترة طويلة [٢] .

- **الزراعة :**

اهتم السلطان اهتماما كبيرا بالزراعة فتم تأسيس أول نقابة للمزارعيين ZIRAAT CEMIYETI ١٨٧٦ ، وانضم إليها عدد كبير من الفلاحين كانوا يجتمعون أسبوعيا ويرسلون توصياتهم للحكومة حول كيفية تطوير الزراعة ، ثم انتشرت النقابات فى جميع ولايات الدولة بحلول عام ١٨٨٠، وفى ١٨٨٨ تم إنشاء البنك الزراعى ليصبح بعد ذلك واحدا من أكبر البنوك بالدولة ، وقد تولى دعم المشروعات الزراعية مثل :

(٤) أشرف محمد دوابة ، الاقتصاد العثمانى فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى ١٨٧٦ -١٩٠٩ م، ص٦٣ ، SULTAN Ⅱ.ABDüLHAMID'IN JEOSTRATJISI VE MIRASI ULUSLARARASI SEMPOZYUMU ,INTERNATIONAL SYMPOSIUM ON SULTAN ABDULHAMID Ⅱ'S GEOSTRATEGY AND HERITAGE , ANKARA SOSYAL BILIMLER Üniversitesi ,2018 .

(٥) محمد إلهامى وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

تمويل الفلاحين بالقروض ودعم مدارس الزراعة – التى أنشأت بين عامى(١٨٩٢ – ١٨٩٣) لتخريج الخبراء الزراعيين – وقد ساهم تطور السكك الحديدية فى تطور الزراعة العثمانية ، حيث ساعد على نقل المعدات والمحاصيل بين جميع أنحاء الدولة ، كانت بريطانيا فى البداية هى المهيمنة على الاستثمار الزراعى ولكن بعد تطور العلاقات العثمانية الألمانية نافستها ألمانيا فى ذلك ، وقد تطور إنتاج القمح العثمانى خاصة بعد الاستعانة بالبذور المحسنة من القمح الأمريكى ، وفى أواخر القرن التاسع عشر تطورت زراعة القطن – الذى زرع فى جنوب الأناضول (أزمير وأدنة) – وعندما زاد الطلب عالميا عليه بعد عام ١٩٠٠ كانت الدولة أكبر المصدرين له عالميا ، حيث بلغ إنتاجها ٢٥% من الإنتاج العالمى [١] .

- **الصناعة :**

كانت الصناعة فى العهد الحميدى منتشرة فى جميع ولايات الدولة فلم تكن حكرا على العاصمة ،فبجانب استانبول كانت هناك حلب والموصل وأزميت وبورصة وأدرنة وسالونيك ، وقد تطورت الصناعة كثيرا بين عامى(١٨٨٠ – ١٩١٤) بالرغم من المنافسة الأجنبية وخاصة بريطانيا التى حرصت على جعل الدولة العثمانية مصدرا للمواد الخام وسوقا لتصريف منتجاتها فقط [٢] ، وكانت هناك أنواع عديدة من الصناعات وخاصة الصناعات الحرفية الصغيرة مثل : الصناعات الاستخراجية وأبرزها استخراج الملح ، وقد زاد إنتاجه بشكل كبير حيث احتكرته الدولة وتم تعيين

(1) SHAW. S J &SHAW .E , HISTORY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY ,VOL Ⅱ , REFORM REVOLUTION AND REPUBLIC : THE RISE OF MODERN TURKEY 1808- 1975 ,CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, UNITIED STATES , 1977,P.230-234.

(٢) أشرف محمد دوابة ، مرجع سابق ، ص ص ٧١، ٧٢

وسطاء تجاريين لشرائه من منتجيه ، حيث انتشر إنتاجه فى وسط الأناضول من البحيرات المالحة المنتشرة به ، وقد سجل الإنتاج ارتفاعا بنسبة ٦٦% من (٢٠٥.٢ إلى ٣٤٠.٩ مليون كجم) بين أعوام (١٨٨٥ – ١٩٠٩) وزادت صادراته ستة أضعاف من(١٧.٩ إلى ١١٤.٦ مليون كجم) بين أعوام (١٨٩٢ – ١٩٠٩) ، وزادت عائدات الدولة منه فحققت ١,١٥٣ مليون ليرة عام **١٩٠٨** وشكل ٥% من إيرادات الدولة ، كذلك كانت هناك صناعة الملابس التى كانت فى بادىء الأمر لخدمة الجيش إلا أنها ازدهرت بعد ذلك ولم تقتصر عليه فقط ، هذا بالإضافة إلى صناعة السجاد العثمانى الذى اشتهرت به الدولة ، وصناعات الطوب والزجاج والخزف والجلود والبلاط والبيرة [١] ، ومن هذه المصانع يلدز للخزف والحميدية للورق ومصنع مياه شرب الحميدية بالإضافة إلى مصانع الغاز[٢] ، كما ازدهرت صناعة الحرير بعد التدهور الذى لحق بها ، حيث اهتمت الدولة بتربية دودة القز لإنتاجه منذ عام ١٨٨٥ ، ولم تهتم به كصناعة فقط بل حرصت على تعليم أصولها فى معاهد خاصة ، فأنشىء معهدا ببورصة عام ١٨٨٨ لتعليم تربية ديدان القز وإنتاج الحرير ، ذلك جعل الدولة تحتل المركز الرابع فى إنتاج الحرير عالميا بعد الصين وإيطاليا واليابان ، كذلك زادت ضرائب العشور المفروضة عليه بفعل رواج صناعته ؛ مما جعله من أهم المحاصيل النقدية بالدولة [٣] .

(3) SHAW J.S , OP.CIT , P.236.

(١) سيف الله آرباجى ، مرجع سابق ، ص ٥٠

(٢) زى هرشلاغ ، مرجع سابق ، ص ص ٩٤ ، ٩٥ .

- **التجارة :**

أما عن التجارة فقد ازدهرت هى الأخرى بفعل تشجيع الحكومة لمواجهة منافسة المنتجات الأوربية للمنتجات العثمانية ، فقد انتعشت التجارة الداخلية بفعل إلغاء الرسوم الجمركية وفتح مدارس للتجار المبتدئين لمساعدتهم على فهم قوانين البيع والشراء وحركة السوق العثمانية ، كذلك قامت الحكومة بتسهيل إجراءات القروض والأعمال المصرفية لمساعدة صغار التجار ، وارتفعت صادرات الدولة بنسبة تجاوزت ١٠٠% من ٨,٣٩٦ مليون ليرة بين عامى (١٨٧٨ – ١٨٧٩) إلى ١٩ مليون ليرة (١٩٠٧ – ١٩٠٨) ، وأهم الصادرات(العنب والتين وزيت الزيتون والأفيون والحرير والمعادن) ، كانت بريطانيا وفرنسا وامبراطورية النمسا والمجر وإيطاليا وألمانيا وروسيا ، أكثر الدول المستوردة من الدولة العثمانية، كما استوردت الدولة من هذه الدول (السكر والبن والأرز والقمح والفحم والورق والساعات ...) ، فقد كان انتاج الدولة من القمح لايكفيها بفعل عدد سكانها الضخم ؛ لذلك لجأت إلى استيراده من بعض الدول الأوربية مثل روسيا ، وبالرغم من أهمية التجارة الخارجية للدولة إلا أن التجارة الداخلية كانت مقدمة عليها ، فقد حرصت الدولة على توسيع رقعة التجارة بين ولاياتها ، وقد شهد الميزان التجارى فى عهد السلطان عبد الحميد استقرار إلى حد كبير ، رغم الضعف الاقتصادى للدولة ، وذلك لاستقرار قيمتى الذهب والفضة ، والحرص على التعامل بهما وثبات قيمتهما ، فبالرغم من أزمات الدولة الاقتصادية إلا أنها حققت فائضا للتصدير فى سلع عديدة [١] .

(3) SHAW J . S , OP.CIT , P.237.

ج- التعليم :

بالرغم من توسع الدولة العثمانية جغرافيا ، والذى رافقه الحرص على نشر العلم فى كافة ولاياتها ، إلا أن عدد المدارس لم يكن كافيا بالدولة ، كما ارتبط التعليم بالدين فى بداية عهدها، ولم يتوسع بالقدر الكافى فى العلوم الدنيوية ؛ لمواكبة تطورات العصر وإعداد الكوادر فى كافة المجالات ، وبدأت الدولة فى تطوير التعليم على النسق الأوربى فى عام ١٨٣٩ ، إلا أنه لم يكن متماشيا مع احتياجات الدولة، كما اعترضته العديد من العقبات لاسيما فيما يتعلق بالمدارس الأجنبية [١] ، لذلك عكف السلطان بعد عام ١٨٨٢ على حل مشكلات التعليم والنهوض به ، حيث توسع السلطان فى نشر التعليم بكافة مراحله وأنواعه ، حيث اهتم بالتعليم المدنى والعسكرى على حد سواء ، فاهتم بالمدرسة الملكية [٢] منذ عام ١٨٧٧ حيث أعاد تنظيمها وأدخل بها مناهج حديثة للدراسة وجعل الدراسة بها لجميع الطلبة الوافدين من كافة الولايات العثمانية بعد أن كان الالتحاق بها قاصرا على طلبة العاصمة فقط ، كما أنشأ الكثير من المدارس العليا فى عدة أعوام ، وكان منها مدرسة الشئون المالية ١٨٧٨ ومدرسة الفنون الجميلة ١٨٨٨ والطب البيطرى ١٨٨٩ والشرطة ١٨٩١ والجمارك ١٨٩٢ والهندسة والعلوم والآداب والحقوق وبلغ عددهم ١٨ مدرسة ، كذلك أنشأ ت جامعة استانبول وافتتحت ١٢ أغسطس ١٩٠٠ ، وأقر ضريبة خاصة للتعليم

(٤)رمزى فوزى أبوغزالة ، تطور التعليم فى الدولة العثمانية : السلطان عبدالحميد الثانى أنموذجا ، ع ٣ ، مج ١٩ ، ٢٠١٩ ، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإلأنسانية ، الأردن ، ص ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(١) المدرسة الملكية ، أنشأها السلطان محمود الثانى لتعليم وتدريب موظفى الدولة وعرفت بمكتب الفنون الملكية فى البداية ، تخرجت أول دفعة بها ١٨٦٠ وقد أمر السلطان عبدالحميد بتطويرها وجعلها بمستوى مدرسة العلوم السياسية SCIENCES POLITIQUES بباريس ، وأول دفعة تخرجت منها بعد تطويرها كانت ١٨٧٩ ، أوزتونا ، يلماز ، مرجع سابق ، ص ٥١٢ .

بواسطتها أنشأ العديد من المدارس ، أما بالنسبة للتعليم العسكرى فقد حظى بعنايته فأنشأ المدارس الحربية فى أدرنة ومناستير ودمشق وبغداد وسلانيك ، وكان خريجو مدرسة الأركان الحربية والمدرسة الملكية يمثلون طبقة خاصة ويصلون إلى أعلى المناصب بالدولة ، فقدارتقى سبعة منهم إلى منصب الوزير ووصل واحدا إلى الصدارة العظمى ، كذلك أسس مدارس للعشائر العربية فى ولايات الدولة لتعليم أبنائهم [١] ، ولأهمية اللغات أنشأ معهدا لها كذلك أنشأ معهد المعلمين ومعهد المعادن والغابات ، أما عن المدارس المتوسطة والثانوية فقد أنشأها فى كل ولاية ، واهتم بمدارس التعليم الصناعى للبنين والبنات ومدارس الصم والبكم ،كذلك أنشأ عددا كبيرا من المدارس الابتدائية فى كافة الولايات [٢] ، وقد بلغ عدد المدارس الثانوية (١٠٤ مدرسة) والإعدادية(٦٠٠ مدرسة) ، وكان عدد المدراس الابتدائية عام ١٨٧٦ (٢٠٠ مدرسة) ، ثم أصبحت فى أواخر عهده (٧٠٠ مدرسة) ، وبلغ عدد مدارس المعلمين ٣٢ مدرسة ، كذلك أرسل البعثات التعليمية فى شتى العلوم إلى أوربا ، وحرص على تشجيع طلاب هذه البعثات على الدراسة وجعل لهم رواتب ثابتة لكى يتفرغوا للدراسة فقط [٣] ،كما كفلت الدولة حرية التعليم لأهل الذمة فكان لكل طائفة مدارس خاصة بها ،حيث بلغ عدد المدارس اليونانية ٦٦ مدرسة والأرمن ٤٥ مدرسة ومدارس البروتستانت ١١ مدرسة والكاثوليك ٩ مدارس والبلغار ٣ مدارس اليهود ٣٤ مدرسة، كذلك لم يقتصر الأمر على التعليم فقط بل امتد إلى الثقافة أيضا

(٢) على أحمد عباس محمد و جعفر خلف الله محمد ، السلطان عبد الحميد الثانى (١٢٩٣ – ١٣٢٦ هـ / ١٨٧٦ – ١٩٠٩ م) ، رسالة دكتوراة ، كلية التربية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، ٢٠١٧ ، ص ص ١٧٥ – ١٨٠ .

(٣) أورخان محمد على ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٤) جوقة باش، سليمان ، ترجمة : عبدالله أحمد إبراهيم ، السلطان عبدالحميد الثانى شخصيته وسياسته ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ط ١ ، ص ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

فأنشأ عدد كبير من المكتبات والمتاحف فى تلك الفترة ومنها : المتحفين العسكرى والهمايونى ومكتبتى بايزيد العامة ويلدز، وترجمت العديد من المؤلفات الأوربية مثل : كتب جان جاك روسو JAN JACK ROSO وفكتور هوجو VECTOR HOGOوفولتير VOLTEER [١] ، ازدهرت العمارة كذلك فى عهد السلطان وبنيت العديد من الأبنية المعروفة ، والتى مثلت بعد ذلك أهم الأبنية التراثية فى تركيا بعد سقوط الدولة العثمانية ١٩٢٤ ، ومنها : سد كوجوك صو COJOK SO وبرج ساعة ضولمه باغجه DOLMA BAGHA ومحطة قطار حيدر باشا [٢] .

٣- سقوط السلطان :

ظهرت معارضة السلطان ومحاولات عزله منذ فترة مبكرة خاصة بين عامى (١٨٩٠ – ١٩٠٠) ، فكان الحديث عن عزله يتردد على ألسنة عامة الشعب ، وقد ظهر ذلك جليا فى حادثة القنبلة ١٩٠٥ [٣] التى دبرها الأرمن متعاونين مع بريطانيا ، التى دعمت كذلك اليهود والماسون[٤] للعمل على خلع السلطان وقد ذكر أن العمل الوحيد

(٥) سيف الله آرباجى ، مرجع سابق ، ص ص ٤٣ – ٤٥ .

(١) أورخان محمد على ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

(٢) ارتكب الأرمن هذه المذبحة عندما رفض السلطان تطبيق إصلاحات مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ الخاصة بتحسين أحوالهم ، فحاولوا اغتياله فى ٢١ يوليو ١٩٠٥ بوضع عربة متفجرات فى فناء الجامع الذى يصلى به صلاة الجمعة ، وقد راح ضحيتها ٢٦ قتيلا وجرح ٥٨ ، ولم تكن خطتهم تقتصر على ذلك فقط بل كانت تشمل نسف مقر الباب العالى والبنك العثمانى وجسر غلطة وبعض سفارات الدول الأوربية ، وبالرغم من فشل خطتهم إلا أن الفزع سيطر على استانبول لعدة أيام من هول الحادثة ، نفسه ، ص ١١٦ .

(٣) الماسونية ، هى حركة سرية يهودية هدامة ، تهدف إلى نشر أفكار الإلحاد والقضاء على الأديان المخالفة لها (الإسلام – المسيحية) لتحقيق سيطرة اليهود على العالم ، وتتخفى وراء الحرية والمساواة والديمقراطية لنشر الفوضى بالمجتمعات لتدمر نفسها بنفسها ، وقد سادت الماسونية وأصبحت حركة عالمية وارتبطت بالصهيونية، ومن أشهر الماسون بالدولة السلطان مراد الخامس الذى كان صديقا للملك إدوارد السابع أشهر الماسون الإنجليز ، حمد صالح الحميدة ، الماسونية نشأتها وخطرها على العالم الإسلامى ، مجلة كلية أصول الدين والدعوة ، ع ٣٩ ، جامعة الأزهر – المنوفية ، ص ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، حسان على حلاق ، دور اليهود والقوى الدولية فى خلع السلطان

الذى استطاع الماسون نشره فى الدولة العثمانية هو نشر الانشقاق والتمرد ، وهم يعملون بذلك لحساب انجلترا التى تدعى نشر الأفكار المتحررة فى دولتنا ... [١] ، وقد حاول السلطان إعادة الهدوء والنظام لأستانبول بعد حركات التمرد والعصيان التى دعى إليها الاتحاديون ، فأصدر فى ٢٤ يوليو ١٩٠٨ أمرا بإعادة مجلس المبعوثان ، وأقيمت الاحتفالات فى جميع أنحاء العاصمة ، وبعد إعلان الدستور حاول السلطان إقناع المعارضين له بإنه أصبح دستوريا أكثر منهم ، وأنه يسعى سرا لتشكيل جمعية جديدة باسم " المحمدية " من الأشراف والعلماء ، الهدف منها سيادة مبدأ الشورى فى البلاد ، وقد انضم إليها عدد كبير من عامة الشعب والجنود ، غير أن ذلك لم يرض جماعة الاتحاد والترقى " تركيا الفتاة " ودب الرعب فى نفوسهم ، خاصة بعد زيادة عدد المؤيدين للسلطان فى الولايات العثمانية ، وفى ١٣ أبريل ١٩٠٩ اجتمع مئات من الجنود وتوجهوا إلى ميدان جامع الفاتح لعرض مطالبهم على مجلس المبعوثان ، وأرسلت الحكومة فصيلة من الجنود لصدهم فاقتتلوا قتالا عنيفا ، مما أدى إلى إثارة الرعب فى العاصمة وتعطلت المدارس وأعمال الحكومة ، وللسيطرة على الموقف زحف جنود الاتحاد والترقى – حيث سيطرت الجماعة على الجيش –من مقدونيا وسالونيك إلى أستانبول فحاصروها وقبضوا على الثوار فى ٢٣ أبريل ١٩٠٩ ، وفى يوم السبت ٢٤ أبريل استيقظ الناس على دوى المدافع قادمة من ناحية قصر يلدز ؛ لأن جماعة الاتحاد والترقى قررت عزل السلطان واستولى جنودها على القصر ، وسلم السلطان مقابل تأمينه على حياته ونقل بعد ذلك إلى قصر طولمه بغجة ، وأعلنت الأحكام العرفية وسيطر على زمام الأمور محمود شوكت باشا قائد الاتحاديين

عبدالحميد الثانى عن العرش (١٩٠٨ – ١٩٠٩) ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص ٤٠ .

(٤) نفسه ، ص ٤٠ .

، واجتمع مجلس المبعوثان وقرر خلع السلطان عبد الحميد بعد صدور الفتوى بذلك ، وأعلن عن خلعه فى ٢٧ أبريل ١٩٠٩ وتم تعيين أخوه محمد رشاد وتلقب بالسلطان " محمد الخامس " [١] ، وقد حوصر قصر يلدز فى ٢٦ أبريل من قبل جيش الاتحاديين تماما وجرد من الجند الذين كانوا به ، ولم يبق به سوى السلطان وأهله وخدمه كما قطعت وسائل الاتصال بالقصر ، وقد تعرض للسلب من قبل جيش العمليات المحاصر له ، ومما أثار دهشة السلطان اشتراك اليهودى الماسونى عمانويل قراصو والآرمنى آرام أفندى فى الوفد الذى بلغه قرار خلعه ، وذلك يوضح الدور الذى لعبه اليهود والماسون والآرمن فى عزله عن العرش ، وقد نقل السلطان المعزول بعد ذلك إلى سالونيك ، وعين له مرتب خاص بعد مصادرة جميع أملاكه، وأجبر على الإقامة الجبرية فى قصر يهودى يدعى آلاتينى ALATINI ولم يسمح له بالحركة إلا فى نطاق محدود ، حتى أنهم لم يسمحوا لكاتبه على محسن بكتابة مذكراته وحبسوه فى بدروم القصر واضطر فى النهاية إلى كتابة مذكراته بنفسه سرا ، كما منعوا دخول الصحف له ، وفى هذا يقول لابنته : أرأيت يا ابنتى إنهم لايقدمون لى كتابا أو صحيفة ويخفون عنى أخبار الدنيا وما يجرى بها [٢]، نقل السلطان مرة أخرى إلى استانبول حيث أقام فى قصر بيلريكى ، وفى أيامه الأخيرة تثاقلت عليه الهموم وانهار نفسيا بسبب رؤيته لهزيمة وتفكك الدولة فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، وفى شهر فبراير ١٩١٨ شكى من ألم فى الجانب الأيسر من صدره ، ثم توقف قلبه وتوفى فى ١٠ فبراير ، وهو فى السادسة والسبعين من عمره ، ونقل إلى قصر طوب قابى ليتم تجهيزه للدفن ، ودفن بناء على وصيته فى مقبرة جده

(١) عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ط ١ ، ص ص ١٤٠ – ١٤٢ .
(٢) جوقه باش ، سليمان ، مرجع سابق ، ص ص ٥٩٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٦ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ .

محمود الثانى (١٨٠٨ – ١٨٣٩) ، وبناء على تقرير الأطباء كانت الوفاة طبيعية بسبب ضعف فى عضلة القلب [١] .

الخاتمة :

ومن هنا كانت الامتيازات فى فترة الإصلاح الاقتصادى عائقا أمام الدولة لحل الأزمة ؛ بسبب تمسك الدول الأوربية ورعاياها بها ، كما أنها كانت عاملا أضعف التجارة الخارجية للدولة ، وساعدت المصنوعات الأجنبية على منافسة الصناعات المحلية ، كذلك لم توقف الدولة سياسة الاقتراض من الخارج مرة واحدة ، فقد لجأ إليها السلطان فى بعض الفترات ، وخاصة فترات الحروب التى خاضها ، مثلما حدث فى الحرب العثمانية الروسية (١٨٧٧– ١٨٧٨) والحرب العثمانية اليونانية ١٨٩٧ .

(٣) نفسه ، ص ص ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

Abstract

Sultan Abdulhamid Ⅱ was born 1842 and ruled (1876- 1909) ,the constitution was drafted under his rule , which greatly improved the conditions of ottoman minorities ,he also resolved the debts question, the agriculture , industry , trade and education flourished under his rule , in 1909 the turkey's girl revolted against him and ended his rule, the appointment of his brother Mohamed Rashad , who was called Mohamed v, sultan Abdul Hamid died on 10 February 1918 at the age of 76 and was buried in his grandfather Mahmoud Ⅱ 's tomb on his will , his death was natural due to a weakness of the heart , he was one of the most cultured ottoman sultans and he had many hobbies ,such as carpentry , including carpentry and wooden artefacts in the Yildes palace.

1-conditionality
2- agriculture
3- industry
4- trade
5-education

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصادر :

(١) تحسين باشا ، ترجمة : كمال أحمد خوجة ، السلطان عبد الحميد الثانى " خواطر تحسين باشا فى يلدز " ، دار الفسطاط للنشر ، ٢٠٠٥ ، ط ١.

(٢) السلطان عبد الحميد الثانى ، مذكراتى السياسية (١٨٩١ – ١٩٠٨) ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٤.

(٣) عثمان أوغلى ،عائشة ، ترجمة صالح سعداوى صالح ، والدى السلطان عبدالحميد الثانى ، دار البشير ، عمان – الأردن ، ١٩٩١ ، ط ١.

(٤) القانون الأساسى للدولة العثمانية ، مواد (٦٥ ، ٦٧ ،٦٨) ، مطبعة الآداب ، بيروت ، ١٩٠٨.

(٥) إبراهيم حليم ، التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ط١.

ب- المراجع الأجنبية :

(1) SHAW. S J &SHAW .E , HISTORY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY ,VOL Ⅱ , REFORM REVOLUTION AND REPUBLIC : THE RISE OF MODERN TURKEY 1808- 1975 ,CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, UNITIED STATES , 1977.

ج- المراجع المعربة :

(١) أوزتونا، يلماز ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج ٢ ، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول ، ١٩٩٠ ، ط ١ .

(٢) نورى طوباش ،عثمان ، ترجمة : محمد حرب ، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة ، دار الأرقم ، استانبول ، ٢٠١٦ .

(٣) أرمجان، مصطفى ، ترجمة : مصطفى حمزة ، التاريخ السرى للامبراطورية العثمانية جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بنى عثمان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ط١.

(٤) دومان، مراد ، ترجمة : أحمد عمر أحمد ، ذكريات السلطان عبد الحميد الثانى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ط ١ .

(٥) فاروق يلماز، عمر ، ترجمة : طارق عبد الجليل السيد ، السلطان عبد الحميد خان الثانى بالوثائق ، دار نشر عثمانلى ، استانبول.

(٦) ، كولن، صالح ، ترجمة : منى جمال الدين ، سلاطين الدولة العثمانية ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤.

(٧) لونكريك، س .ه ، ترجمة : جعفر الخياط ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، مطبعة النقيض الأهلية ، بغداد ، ١٩٤١.

(٨) مانتران ،روبير ، ترجمة : بشير السباعى ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج ٢ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ط ١ .

(٩) زى هرشلاغ ، ترجمة : مصطفى الحسينى ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادى الحديث للشرق الأوسط ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣.

(١٠)جوقة باش، سليمان ، ترجمة : عبدالله أحمد إبراهيم ، السلطان عبدالحميد الثانى شخصيته وسياسته ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ط ١.

د- المراجع العربية :

(١) أورخان محمد على ، السلطان عبدالحميد الثانى حياته وأحداث عهده ، دار النيل للطباعة والنشر ، استانبول ، ٢٠٠٨ ، ط٤.

(٢) سيف الله آرباجى ، السلطان عبدالحميد الثانى مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية ، دار النيل للطباعة والنشر ، استانبول ، ٢٠١١ ، ط ١.

(٣) على محمد الصلابى ، السلطان عبدالحميد الثانى وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية ، المكتبة العصيرية ، صيدا – بيروت ، ٢٠١٠ ، ط ١.

(٤) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

(٥) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت – دمشق – عمان ، ١٩٩٤ ، ط ٣.

(٦) منصور عبد الحكيم ، السلطان عبد الحميد الثانى المفترى عليه آخر السلاطين المحترمين ١٨٤٢ – ١٩١٨ ، دار الكتاب العربى ، دمشق – القاهرة ، ٢٠١٠ ، ط ١.

(٧) محمد إلهامى وآخرون ، السلطان عبد الحميد الثانى فى الذاكرة العربية ، ج ١ ، دار الأصول العلمية ، استانبول ، ٢٠١٩ ، ط ١.

(٨) حسان على حلاق ، دور اليهود والقوى الدولية فى خلع السلطان عبدالحميد الثانى عن العرش (١٩٠٨ – ١٩٠٩) ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت.

(٩) عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ط ١.

هـ – الدوريات :

(١) رمزى فوزى أبوغزالة ، تطور التعليم فى الدولة العثمانية : السلطان عبدالحميد الثانى أنموذجا ، ع ٣ ، مج ١٩ ، ٢٠١٩ ، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإلأنسانية ، الأردن .

(٢) حمزة ملغوث البديرى ، مؤتمر القسطنطينية ، ع ٥٨ ، مارس ٢٠١٧ ، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية ، ميسان – العراق .

(٣) وجيه كوثرانى ، التنظيمات العثمانية والدستور : بواكير الفكر الدستورى نصا وتطبيقا ومفهوما ، مجلة تبين ، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات ، ع ٣ ، مارس ٢٠١٣ ، الدوحة .

(٤) إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ ، السلطان عبد الحميد المفترى عليه ، مجلة المؤرخ المصرى ، ع ٣٨ ، يناير ٢٠١١ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

(5) HALLAK. H, THE OTTOMAN CONSTITUTIONAL EXPERIENCE UNDER SULTAN ABDEL HAMID Ⅱ (1876- 1909) , ISSUE 2 , VOL 2 , BAU JOURNAL – SOCIETY , CULTURE AND HUMAN BEHAVIOR, FEBRUARY 2021 .

و– الرسائل الجامعية :

(١) على أحمد عباس محمد و جعفر خلف الله محمد ، السلطان عبد الحميد الثانى (١٢٩٣ – ١٣٢٦ هـ / ١٨٧٦ – ١٩٠٩ م) ، رسالة دكتوراة ، كلية التربية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، ٢٠١٧.

(٢) عيسى أسعد العبد الله ، السياسة الخارجية للدولة العثمانية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ – ١٩٠٩) ، رسالة ماجستير ، جامعة بيروت العربية .

ز- الأبحاث :

(١) أشرف محمد دوابة ، الاقتصاد العثمانى فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى ١٨٧٦ – ١٩٠٩ م، نقلا عن SULTAN ll.ABDüLHAMID'IN JEOSTRATJISI VE MIRASI ULUSLARARASI SEMPOZYUMU ,INTERNATIONAL SYMPOSIUM ON SULTAN ABDULHAMID ll'S GEOSTRATEGY AND HERITAGE , ANKARA SOSYAL BILIMLER Üniversitesi ,2018 .